وحالنا ــ والحمد لله ــ على أحسن ما يكون
كتابنا .. على رصيف الفكر عاطلون
من مطبخ السلطان يأكلون
بسيفه الطويل يضربون
كتابنا ..
ما مارسوا التفكير من قرون
لم يقتلوا
لم يصلبوا
لم يقفوا على حدود الموت والجنون
كتابنا ..
يحيون في اجازة ..
وخارج التاريخ يسكنون
احترق المسرح من أركانه
ولم يمت ــ بعد ــ الممثلون ..

مع استمرار هذه العملية المؤلمة من تفحص الذات ، تنمو قائمة العلات المكتشفة على صعيد الافراد او المؤسسات . فالانانية والكذب ، وانعدام الانضباط الجماعي او العمل كمجموعة ، وهاجس الكلام وافلاس النظام السياسي والقيم البالية ــ كل هذه تغدو بشكل متزايد هدفا للتصوير الادبي . ومن بين أفضل الروايات التي عالجت المشكلة الفلسطينية وهاجمت امراض المجتمع وعلاته بأسلوب اكثر اتساقا نذكر الروايتين اللتين وضعهما حليم بركات ، الكاتب الشاب ، وهما : **ستة أيام** (١٩٦١) و**عودة الطائر الى البحر** (١٩٦٩)(٥١).

تتميز رؤيا بركات بتوتر مستمر بين الواقع والوهم ، وبرفض للقيم السائدة والتقاليد والمؤسسات ، كما تتسم ببحث عن شيء يتعذر الوصول اليه انطلاقا من مأزقه . ان شخصياته تميل ، على غرار خالقها ، نحو تلقي القيم الثقافية الغربية وفي الوقت نفسه صوب خيبة الامل بتلك القيم . والاشخاص الغربيون ، من تاريخيين واسطوريين ، غالبا ما يبرزون في حوارهم أو مونولوجهم ويؤدون وظيفة كمصدر للقوة يضيف الشدة الى مشاعرهم أو يزودهم بوسائل لاستيعاب وضعهم . فرواية **ستة أيام** تقدم لنا ما جرى وصفه برؤيا نبوئية لحرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ .ورواية **عودة الطائر الى البحر** تكشف الاحاسيس والافكار الجوانية لدى الشخصيات في معايشتها لاحداث حرب ١٩٦٧ . الرواية الاولى هي قصة بلدة عربية صغيرة ــ يسردها المؤلف على صورة المفكرة بمدى ستة ايام ــ ابان صراعها مع انذار موجه من العدو : اما الاستسلام أو التدمير عن بكرة ابيها . ولدى اعطائها مهلة من ستة أيام لكي تتخذ قرارها ، تنتهي البلدة الى القبول بموقف البطل : اما الموت أو النصر . ويبدو عليها انها عقدت العزم للدفاع عن نفسها . ان سهيل هو مثقف يعاني الاغتراب النفسي ، والتمزق بين حبه لشعبه واشمئزازه من عالمهم ، بين توقعه للهزيمة التي يوشك وقوعها والرغبة في توريث الخلف « اسطورة من التحدي والبطولة والاستشهاد » علها توحي لهم برفع مستوى وجودهم. والبلدة التي يصفها المؤلف ، مثل معظم بلدان العالم العربي ، هي فسيفساء من الخوف والجهل والفقر والمنافسات والفوضى والجشع ، الى جانب واجهة غربية ، عصرية وانما غير مندمجة . ففي عدد من الاحداث والمحاورات نجده يشدد على النقطة بان شعبه أخفق في مواجهته مع عدوه من الخارج ، لانه تجاهل اعداءه من الداخل لمدة طويلة . والتراث الذي تلقاه هذا الشعب يأوي اولئك الاعداء الداخليين . أما الحل الاساسي فيكون برفض الامور المفروضة من فوق واحترام حق كل فرد من الناس في تقرير مصيره